توقفت المطابع وجف الحبر!

زينب الجغثمي

توقفت المطابع وجف الحبر !

هكذا تحدثت آخر افتتاحية لصحيفة " ذا إندبندنت " البريطانية في العدد الورقي الأخير - السبت الماضي - قبل تحولها إلى الصحافة الرقمية بشكلٍ كامل ، ونشر صحفيون من " ذا إندبندنت " التي تأسست قبل نحو ثلاثين عامًا صورًا على مواقع التواصل الاجتماعي تُظهر العاملين يقرعون على الطاولات ، وهو تقليدٌ يُستخدم لتوجيه التحية عند رحيل أحد الزملاء.

وفي افتتاحيتها الأخيرة أكدت الصحيفة أننا سنتذكر هذا (التحول الجريء) نحو الصحافة الرقمية بشكل كامل (بكونه نموذجا تحتذي به صحف أخرى في العالم)..

و بعد أن كانت توزع أكثر من (420 ألف) نسخة في اليوم عام 1989 م ، لم تعد قادرةً على بيع أكثر من (40 ألف) نسخة اليوم .

و مع إغلاق فصل يُفتح آخرٌ والعالم يعيش في المحيط المعلوماتي الرقمي ؛ هكذا يوحي المستقبل : (توقفت المطابع وجف الحبر) ، وقريبًا لن يُصدر الورق حفيفًا!

هل ظهور ما يسمي بالكتاب الرقمي بات يهدِّد نظيره الورقي الذي ظهر قبل خمسة قرون (تاريخ الطباعة) ؟
هل يواجه خطر الانقراض أمام نظيره الرقمي كما تواجه الخطر نفسه الصحف والمجلات ؟

تُشير الإحصاءات إلى أن الكتاب الورقي مهدَّد بالفعل أمام تنامي الإقبال على الكتاب الرقمي ، رغم محاولات بعض الدول إلى إعادة إحياء مجد الورق والطباعة ، وبالتوازي مع ظهور الكتاب الرقمي وانتشار شبكة الإنترنت ، ظهر عدد من المكتبات والمواقع المجانية التي يستطيع أي شخص على الكرة الأرضية تحميلها أو قراءتها مجانًا بشكل شرعي وقانوني دون أي التزامات على الإطلاق.

فحين صدح المتنبي قائلًا: " و خير جليس في الزمان كتاب " ، كان ذلك قبل ظهور العالم الرقمي ؛ وكان يعني الكتاب بأوراقه وحبره وغلافه ، برائحته المميزة التي لا يعرفها إلا من عشق الكتاب! ..

العالم الرقمي الذي يجتاح كل تفاصيل حياتنا دون إذن قد يجتاح يومًا ما الكتب والصحف ، وقد تصبح الطباعة بكل حضورها وتأثيرها شيئا من الماضي وتذهب آلة الطباعة إلى المتحف .

و رغم ما تقدم فإن الإحصاءات منذ العام 2012 تُشير إلى تراجع نسب الإقبال على الكتاب الرقمي لصالح الكتاب الورقي ، ويبدو أن الحنين للكتاب الورقي في ازدياد إذ لا يستطيع كثير مقاومة جاذبية الورق وحُبه وتقليب الكتاب والاحتفاظ به قريبًا من السرير ، على مطالعة كتابٍ في شاشة جهاز لوحي! ..

وحتى مع ظهور المكتبات الافتراضية المجانية إلا أن مكتبات مثل مكتبة (الكونجرس الأمريكي) و(المكتبة المفتوحة) أو (أوبن لايبريري) تشهد إقبالاً متزايدًا من جمهور القرّاء!
ومهما حدث في المستقبل فالكتاب واحد ، ورقيًا كان أم رقميًا.

زينب الجغثمي